(١٣)

أهل التجهيل

الحمد لله رب العامين والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين اللهم نسألك أن توفق شيخنا وان تعينه وأن تغفر لنا ولشيخنا وللمسلمين.

((وَأَمَّا اَلصِّنْفُ اَلثَّالِثُ: وَهُمْ أَهْلُ اَلتَّجْهِيلِ فَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ اَلْمُنْتَسِبِينَ إِلَى اَلسُّنَّةِ وَاَتِّبَاعِ اَلسَّلَفِ، يَقُولُونَ: إِنَّ اَلرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَانِيَ مَا أَنْزَلَ اَللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ اَلصِّفَاتِ وَلَا جِبْرِيلُ يَعْرِفُ مَعَانِيَ تِلْكَ اَلْآيَاتِ، وَلَا اَلسَّابِقُونَ اَلْأَوَّلُونَ عَرَفُوا ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي أَحَادِيثَ اَلصِّفَاتِ: إِنَّ مَعْنَاهَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اَللَّهُ، مَعَ أَنَّ اَلرَّسُولَ ﷺ تَكَلَّمَ بِهَذَا اِبْتِدَاءً، فَعَلَى قَوْلِهِمْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ.))

قبل أن ندخل في تفصيل مقالتهم هؤلاء هم أهل التجهيل لا يسمون أنفسهم أهل التجهيل بل يسمون أنفسهم **"أهل التفويض"** ويزعمون أن ما أخبر به النبي ﷺ عن ربه مجهول المعنى ولا يعلمه أحد و لا النبي ﷺ يعلمه في زعمهم. يقولون إن النبي ﷺ قد أنزل عليه {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} لكنه لا يدرك معنىً للاستواء سوى إن هناك صفة لله يقال لها الاستواء لا يدرك معناها. أنزل الله {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} فله صفة يقال له لها اليد لكن لا يدرك لها معنى، "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" فأثبت صفة يقال لها النزول لكن لا معنى لها فجعلوا ما أخبر الله تعالى به وما أخبر به نبيه ﷺ مجهولة المعاني بمنزلة الأحاجي والألغاز والطلاسم التي لا يمكن التوصل لفك شفرتها وأنها لا يعلمها إلا الله ولا النبي ﷺ يعلمها فضلاً عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم فبهذا استحقوا هذا الوصف – وصف التجهيل، لأنهم جَهّلوا الأمة فيما أخبر الله تعالى به عن نفسه وأخبر به نبيه ﷺ وأن النبي ﷺ إنما تكلم بكلام لا يعرف له معنى وأنه يجب الإيمان به إيمانًا إجماليًا وأن السلف والصحابة كانوا يؤمنون به إيمانًا إجماليًا دون إدراك حقيقة معناه، وهؤلاء أعني أهل التجهيل – طبعًا هم يتفقون من حيث المنطلق مع أهل التأويل من أن آيات الصفات وأحاديث الصفات لا تدل على المعنى الظاهر، كلهم ينطلق من هذا المنطلق من أنها لا تدل على ظاهرها لكن أهل التأويل قالوا هي لا تدل على الظاهر لكن علينا أن نجتهد ونعمل أذهاننا وعقولنا في ابتكار معاني مجازية حتى لا ندع الناس دون شيء، فهذا امتحان واختبار من الله لنا أن نحمل كلامه على ما يليق به، وأن النبي ﷺ أخفاها عنا عن قصد – عجبًا لهم سبحان الله يعني يبين النبي ﷺ كل شيء من أحكام الدين حتى الخراءة – كما مر في أول الرسالة – ويدع بيان أعظم أبواب الدين وهو باب العلم بالله؟ عجبًا لهم، وأما أهل التجهيل فإنهم قالوا أن النبي ﷺ لا يعلم معناها **ولا يجوز حملها على معان مجازية** لأن هذا قول على الله بغير علم، فبقي الباب موصدًا، لا نَقْل و لا عَقْل، ولذلك سُمُّوا أهلَ التجهيل.

ثم أخذ الشيخ رحمه الله يوجه مقالتهم ويبين من أين أتوا ((وَهَؤُلَاءِ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ اِتَّبَعُوا قَوْلَهُ تَعَالَى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (آل عِمْرَانَ:٧) فَإِنَّهُ وَقَفَ كَثِيرٌ مِنْ اَلسَّلَفِ عَلَى قَوْلِهِ {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} وَهُوَ وَقْفٌ صَحِيحٌ، لَكِنْ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

مَعْنَى اَلْكَلَامِ وَتَفْسِيرِهِ، وَبَيْنَ اَلتَّأْوِيلِ اَلَّذِي اِنْفَرَدَ اَللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ وَظَنُّوا أَنَّ اَلتَّأْوِيلَ اَلْمَذْكُورَ فِي كَلَامِ اَللَّهِ هُوَ اَلتَّأْوِيلُ اَلْمَذْكُورُ فِي كَلَامِ اَلْمُتَأَخِّرِينَ، وَغَلِطُوا فِي ذَلِكَ.

فَإِنَّ اَلتَّأْوِيلَ يُرَادُ بِهِ ثَلَاثُ مَعَانٍ.

فَالتَّأْوِيلُ فِي اِصْطِلَاحِ كَثِيرٍ مِنْ اَلْمُتَأَخِّرِينَ هُوَ : صَرْفُ اَللَّفْظِ عَنْ اَلِاحْتِمَالِ اَلرَّاجِحِ إلَى اَلِاحْتِمَالِ اَلْمَرْجُوحِ لِدَلِيلٍ يَقْتَرِنُ بِذَلِكَ.

فَلَا يَكُونُ مَعْنَى اَللَّفْظِ اَلْمُوَافِقِ لِدَلَالَةِ ظَاهِرِهِ تَأْوِيلاً عَلَى اِصْطِلَاحِ هَؤُلَاءِ، وَظَنُّوا أَنَّ مُرَادَ اَللَّهِ بِلَفْظِ اَلتَّأْوِيلِ ذَلِكَ، وَأَنَّ لِلنُّصُوصِ تَأْوِيلاً مُخَالِفًا، لِمَدْلُولِهَا لاَ يَعْلَمُهُ إلَّا اَللَّهُ، أَوْ يَعْلَمُهُ اَلْمُتَأَوِّلُونَ.

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: تُجْرَى عَلَى ظَاهِرِهَا، فَظَاهِرُهَا مُرَادٌ. مَعَ قَوْلِهِمْ: إنَّ لَهَا تَأْوِيلاً بِهَذَا اَلْمَعْنَى لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اَللَّهُ.

وَهَذَا تَنَاقُضٌ وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ اَلْمُنْتَسِبِينَ إلَى اَلسُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ اَلْأَئِمَّةِ اَلْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَالْمَعْنَى اَلثَّانِي: أَنَّ اَلتَّأْوِيلَ هُوَ تَفْسِيرُ اَلْكَلَامِ، سَوَاءٌ وَافَقَ ظَاهِرَهُ أَوْ لَمْ يُوَافِقْهُ، وَهَذَا هُوَ اَلتَّأْوِيلُ فِي اِصْطِلَاحِ جُمْهُورِ اَلْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَهَذَا اَلتَّأْوِيلُ يَعْلَمُهُ اَلرَّاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِوَقْفِ مَنْ وَقَفَ مِنْ اَلسَّلَفِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} كَمَا نُقِلَ لَكَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ اَلزُّبَيْرِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إسْحَاقَ، وَابْنِ قُتَيْبَةَ وَغَيْرِهِمْ.

وَكِلَا اَلْقَوْلَيْنِ حَقٌّ بِاعْتِبَارٍ – كَمَا قَدْ بَسَطْنَاهُ فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى – وَلِهَذَا نُقِلَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ هَذَا وَهَذَا وَكِلَاهُمَا حَقٌّ.

وَالْمَعْنَى اَلثَّالِثُ: أَنَّ اَلتَّأْوِيلَ : هُوَ اَلْحَقِيقَةُ اَلَّتِي يُؤَوَّلُ الكلام إلَيْهَا، وَإِنْ وَافَقَتْ ظَاهِرَهُ، فَتَأْوِيلُ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي اَلْجَنَّةِ مِنْ اَلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللِّبَاسِ وَالنِّكَاحِ وَقِيَامِ اَلسَّاعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، هُوَ اَلْحَقَائِقُ اَلْمَوْجُودَةُ أَنْفُسُهَا لاَ مَا يُتَصَوَّرُ مِنْ مَعَانِيهَا فِي اَلْأَذْهَانِ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ، وَهَذَا هُوَ اَلتَّأْوِيلُ فِي لُغَةِ اَلْقُرْآنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ إنَّهُ قَالَ { يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} (يُوسُفَ:١٠٠) وَقَالَ تَعَالَى {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} (اَلْأَعْرَافِ:٥٣) وَقَالَ تَعَالَى {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (اَلنِّسَاءِ: ٥٩).وَهَذَا اَلتَّأْوِيلُ هُوَ اَلَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ إلَّا اَللَّهُ.))...

هذا مقام ينبغي لطالب العلم أن يعيه ويتصوره تصورًا جيدًا لأنه تنحل به إشكالات كثيرة، وإنما يؤتى كثير من الناس بسبب الاشتراك في الألفاظ لأنه يحمل معنى على غير مراده. فهؤلاء أهل التجهيل الذين يزعمون الانتساب إلى السنة وإلى السلف إنما أتوا بسبب سوء فهمهم وغلطهم في تفسير قول الله تعالى {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}، تأملوا معي الآية يرعاكم الله، يقول تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ} يعني واضحات الدلالة {هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} يعني هن غالبه {وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} يعني محتملات الدلالة، يعني قد جعل الله تعالى آيٍ في كتابه يشتبه معناها على بعض الناس تشابهًا نسبيًا – لا تشابهًا مطلقًا بمعنى أنها لا يمكن الوصول إلى معناها، لا، تشابه نسبي، يعني يتشابه عند فلان ما يكون محكمًا عند فلان، يشتبه على فلان في أول طلبه للعلم ما لا يشتبه له بعد أن يتمكن من العلم، يشتبه عليه ذلك في نص ولا يشتبه في آخر، هذا ما أردت بقولي "تشابهًا نسبيًا". ثم ذكر تعالى طريقتين: طريقة الزائغين وطريقة الراسخين فقال {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ} يعني هوى وميل

وانحراف {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} قرأ معظم السلف بالوقف على قوله {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} ففهم هؤلاء – أعني أهل التجهيل – أن معنى قوله {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} أي ما يعلم معناه إلا الله سبحانه وتعالى وأنه لا سبيل لأحد إلى العلم بمعناه وأنه لا يمكن لأحد أن يدعي بأن المراد به المعنى الظاهر كما قاله السلف ولا المعنى المأوّل كما قاله الخلف، لا هذا ولا هذا، فالنتيجة الجهل، قالوا {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} ظنوا بأن التأويل المقصود في الآية هو التأويل في اصطلاح المتأخرين الذي يعني صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر وهي طريقة أهل التأويل. فقالوا: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}أمسكوا ولا يحل لكم القول أن الاستواء بمعنى الاستيلاء ولا الوجه بمعنى الثواب ولا اليدين بمعنى النعمة أو القدرة. ولا شك أنهم أصابوا في إنكارهم عليهم، لكن ليس هذا هو التأويل المراد في الآية لأن هذا المعنى للتأويل معنى حادث اصطلح عليه المتأخرون من الأصوليين والمتكلمين وليس هو المعتمد في لغة العرب، فلما استصحب أهل التجهيل أن التأويل المذكور في الآية هو التأويل في عرف المتأخرين الذي **يعني صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر – يعني إلى المجاز – يعني قالوا هذا أمر ممتنع لا يمكن**، فبذلك رَدّوا على أهل التأويل وقالوا: لا يجوز تفسير هذه الآيات بمعنى من المعاني. كما أنهم أيضًا لم يوافقوا أهل السنة في حملهم على المعنى الظاهر.

فبين الشيخ رحمه الله أن لفظ التأويل له ثلاث استعمالات:

الاستعمال الأول هو ما درج عليه المتأخرون من الأصوليين والمتكلمين من تقسيم الكلام لحقيقة ومجاز، وأن التأويل نقل المعنى من الدلالة الظاهرة إلى دلالة غير ظاهرة لدليل يقترن بها يسمونه القرينة. وهذا اصطلاح حادث، لا يجوز أن نحمل كلام الله ﷻ وكلام نبيه ﷺ بل ولا لغة العرب على اصطلاح حادث. للناس أن يصطلحوا ولا مشاحة في الاصطلاح، لكن أن نحمل عليه كلام متكلم لا يقر هذا الاصطلاح هذا تجني وعدوان.

وقال الشيخ رحمه الله (ثُمَّ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: تُجْرَى عَلَى ظَاهِرِهَا، فَظَاهِرُهَا مُرَادٌ. مَعَ قَوْلِهِمْ: إنَّ لَهَا تَأْوِيلاً بِهَذَا الْمَعْنَى لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللَّهُ. وَهَذَا تَنَاقُضٌ وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى السُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ.)

هو يشير بهذا إلى طائفة من أهل التجهيل وقعوا في تناقض لفظي معنوي يقولون: إن نصوص الصفات تجرى على ظاهرها.

ثم يقولون في الوقت ذاته: إن لها تأويلًا لا يعلمه إلا الله. كيف يستقيم؟ كيف يقال: تجرى على ظاهرها ثم يقال: إن لها تأويلًا لا يعلمه إلا الله؟ ممَن وقع في هذه الورطة ما ذكره الشيخ بعض المنتسبين إلى الأئمة ومن أشهرهم: أبو يعلى الحنبلي رحمه الله وهو من كبار أصحاب الإمام أحمد أعني أنه من كبار المذهب فإنه رحمه الله رد على ابن فورك كتابه في تأويل الصفات، وألّف مصنفًا في رد هذه التأويلات ولكنه رحمه الله **وقع في هذا التناقض فهو ينكر على أهل التأويل تأويلاتهم المفتعلة التي في الواقع هم استقوها من المعتزلة من بشر المريسي وغيره**، وأصاب رحمه الله في رده عليهم هذه التأويلات كتأويلهم الاستواء بالاستيلاء، واليد بالنعمة، والوجه بالثواب ونحو ذلك **لكنه قال: تجرى على ظاهرها. ثم قال: إن لها تأويلًا يخالف ظاهرها**. فهذا هو التناقض الذي أشار إليه، ولأجل ذا لما رأى أبو الوفاء بن عقيل وهو من كبار أصحاب أبي يعلى هذا التناقض نزع إلى طريقة المعتزلة، رأى أن هذا تناقضًا وأن هذا لا يستقيم وأبو الوفاء بن عقيل كما قال عنه شيخ الإسلام من أذكياء العالم رأى أن في هذا تناقضًا فلم يقبل بهذه الطريقة واستمر هذا الاضطراب والإشكال في تلميذه ابن الجوزي، فإن ابن الجوزي رحمه الله والثلاثة كلهم

من أساطيل المدرسة الحنبلية لكنهم خرجوا في هذه المسألة عن طريقة الإمام أحمد وعابهم المقدسيون والعلثيون من أصحاب الإمام أحمد وكاتبوهم وناصحوهم لكنهم تأثروا بالوسط الأشعري السائد في ذلك الوقت، فابن الجوزي رحمه الله ألّف كتابًا سماه دفع شُبه التشبيه بأكف التنزيل وشان به المذهب فعلًا فإنه رجع إلى طريقة الأشاعرة في هذا الكتاب واعتبر الأشاعرة وغيرهم هذا ظفرًا وصاروا كلما جاءت مناسبة أنكروا على الحنابلة تمسكهم بإجراء النصوص على ظاهرها ويقولون: ولم يوافقهم بعض أفاضلهم على كذا وكذا. يشيرون بذلك إلى ابن الجوزي ولكن ابن الجوزي أخطأ في هذا وأخطأ في فهم مراد الإمام أحمد رحمه الله ومَن سار على طريقته من أئمة المذهب بل من عموم السلف من مختلف المذاهب فإن هذا ليس كما ذهب إليه، فهذا هو التناقض الذي أردنا التنبيه عليه وهو طريقة أبي يعلى الفراء الحنبلي في دعوا إجرائها على ظاهرها والزعم في الوقت نفسه أن لها معنًا وتأويلًا يخالف الظاهر .. هذا هو التناقض.

الاستعمال الثاني للتأويل استعمال صحيح وهو بمعنى التفسير – يعني تفسير الكلام حسب مراد قائله به، سواء كان ظاهرًا أو غير ظاهر. وهذا ما درج عيه المفسرون كابن جرير الطبري حين يقول (القول في تأويل قول الله تعالى كذا وكذا) هو لا يريد المجاز كما ادعاه متأخروا الأصوليين، لا، هو لا يريد بذلك المجاز وإنما يريد به التفسير، وشاهده قول النبي ﷺ في دعائه لابن عباس "اللهُمّ فَقّهْهُ فِيْ الدِّيْنِ وعَلّمْهُ التَّأْوِيْلَ" و(علمه التأويل) يعني التفسير، ولهذا كان ابن عباس ترجمان القرآن.

إذن هذا القول الثاني – الذي بمعنى التفسير – تُحْمَلُ عليه قراءة الوصل {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} بمعنى أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، لأن الراسخين في العلم يعلمون التفسير لكونهم يعلمون الناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمطلق والمقيد والمجمل والمبيّن والظاهر والمؤول، فلما كانوا كذلك كانوا يعلمون التفسير. فتصح على هذا المعنى قراءة الوصل {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} ويروى عن ابن عباس أنه كان يقول "أنا من الراسخين في العلم أنا أعلم تأويله". فصحت في الآية قراءتان: قراءة الوقف وقراءة الوصل. علام تحمل قراءة الوقف؟

الاستعمال الثالث المعنى الثالث الذي هو معروف عند العرب وهو أن التأويل يراد به الحقيقة التي يؤول إليها الشيء، فهو مشتق من (الأَوْلِ) والأَوْلُ هو الرجوع كما تقول آل لكذا يعني صار إليه ورجع إليه، فالحقيقة التي يؤول الكلام إليها هي التأويل فتأويل ما أخبر الله تعالى به من نصوص المعاد يكون بتحققها في الواقع، كما قال الله ﷻ {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} يعني تحقق وقوعه ووجوده في الخارج {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ} نسوه بمعنى تركوه وهجروه {قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} وحينئذ لا ينفعهم.. ومثله قول يوسف عليه السلام حين وقعت تعبير الرؤيا، كان يوسف عليه السلام قد رأى وهو صغير أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له، فلما دخل عليه أبوه وأمه وأخوته الأحد عشر وخروا له سجدًا ماذا قال؟ {وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} يعني هذا تحقق وقوعه. فعلمنا أن لفظ التأويل إن كان خبرًا فإنه يقصد به تحقق وقوعه في الخارج، وإن كان أمرًا ونهيًا فإنه يعني امتثاله، وشاهد ذلك قول عائشة رضي الله عنها قالت لما أنزل على رسول الله ﷺ {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ} (النصر٣)، قالت: فكان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي" يتأول القرآن. ما معنى "يتأول القرآن"؟ يعني يمتثل أمره. فعلمنا أن التأويل في الكتاب والسنة إن كان خبرًا فهو بمعنى تحقق وقوعه في الخارج وإن كان أمرًا ونهيًا فإنه يعني امتثاله إن كان أمرًا واجتنابه إن كان نهيًا. هذه هي معاني التأويل الثلاثة.

فعلى هذا تكون قراءة الوقف {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} مناسبة لأي المعاني الثلاثة؟؟ للأخير، للثالث، بمعنى أن الله تعالى ينكر على الزائغين محاولة ادعاء حقيقة ما أخبر به عن نفسه وحقيقة ما أخبر به عن اليوم الآخر وكيفيتها، فيقول {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} يعني ما يعلم حقيقة ما أخبر الله تعالى به عن نفسه وكيفية ما أخبر به عن نفسه ولا حقيقة ما أخبر به عن اليوم الآخر ولا كيفية ما أخبر به عن اليوم الآخر إلا هو {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}.. والراسخون في العلم في مقابل الزائغين ما هو موقفهم في المتشابهات؟ {يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} يعني آمنا بلفظه وآمنا بمعناه ووكلنا حقيقته إلى الله قالوا {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} فلم يَرُدّوا على الله شيئًا من قيله. هذه من أهم المواضع التي ينبغي لطالب العلم أن يدركها.

((**فَتَأْوِيلُ اَلصِّفَاتِ هُوَ اَلْحَقِيقَةُ اَلَّتِي اِنْفَرَدَ اَللَّهُ بِعِلْمِهَا، وَهُوَ اَلْكَيْفُ اَلْمَجْهُولُ اَلَّذِي قَالَ فِيهِ اَلسَّلَفُ كَمَالِكٍ وَغَيْرِهِ:" اَلِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ" فَالِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ يَعْلَمُ مَعْنَاهُ وَتَفْسِيرَهُ وَيُتَرْجَمُ بِلُغَةٍ أُخْرَى، وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ ذَلِكَ اَلِاسْتِوَاءِ فَهُوَ اَلتَّأْوِيلُ اَلَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ إِلَّا اَللَّهُ تَعَالَى**)) إذن تأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه هو حقيقته التي هو عليها قال تأويل الصفات ((**هُوَ اَلْحَقِيقَةُ اَلَّتِي اِنْفَرَدَ اَللَّهُ بِعِلْمِهَا**)) لا يعلم أحد حقيقة استواء الله، حقيقة نزول الله، حقيقة سمع الله، حقيقة بصر الله، إلا هو سبحانه وتعالى. لكن نحن نعلم المعنى الذي يكون في الأذهان، أما الكيف فهو الذي قال عنه السلف الكيف مجهول أو الكيف غير معقول ((**وَقَدْ رُوِيَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ– رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا– مَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَغَيْرُهُ فِي تَفْسِيرِهِمْ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ(تَفْسِيرُ اَلْقُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ تَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ اَلْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَايُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ اَلْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَايَعْلَمُهُ إِلَّا اَللَّهُ ﷻ مَنْ اِدَّعَى عِلْمَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ".**))

هذه الضروب الأربعة كالتالي :

النوع الأول تفسير تعرفه العرب من كلامها – يعني مثل أن تعرف معنى غاسق، وقب، الليل إذا عسعس، الصبح إذا تنفس، والرقيم ونحو ذلك من ألفاظ القرآن. فهذا تعرفه العرب من لغتها. ولما ناظر نافعُ بن الأزرق ابنَ عباس كان يسأله عن مفردات القرآن كلمة كلمة، فكلما فسرها بمعنى قال "من أين لك ذلك؟" فاستشهد ابن عباس ببيت من شعر العرب.

النوع الثاني: (وتفسير لا يعذر أحد بجهالته) والمراد به: المعلوم من الدين بالضرورة فإذا قال الله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [البقرة: ٤٣]يجب أن يذهب الوهل إلى الصلاة بالمعنى الشرعي لا الصلاة بالمعنى اللغوي فهذا لا يعذر أحدٌ بجهالته، فكل مسلم يعلم أن {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [البقرة: ٤٣]يراد بها العبادة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم لا يراد بها الدعاء، وكذلك الزكاة والحج والصوم فإنها ذات معاني معلومة بالاصطلاح.

النوع الثالث: **(وتفسير يعلمه العلماء)** هذا التفسير هو الذي يحتاج إلى طلب وسعي وتحصيل وهو علم الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والظاهر والمؤول مما يتطلبه العلماء فهذا يحتاج إلى طلب علم بأن يعرف الإنسان منها هذه الآية منسوخة، فالذي يقرأ القرآن وهو لا يعلم هذا يُشكل عليه أو لا يعرف سبب النزول فيُشكل عليه، أرأيتم مثلًا لما أشكل على مسروق قول الله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة: ١٥٨] فقال لعائشة رضي الله عنها: لا أرى جناحًا على مَن حج أو اعتمر فلم يسعى بين الصفا والمروة فقد تم حجه. قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي. ثم ذكرت له سبب نزول الآية. فهذا مما يعلمه العلماء.

النوع الرابع: وهو المقصود في هذا المقام (**وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل فمن ادعى علمه فهو كاذب**) وهو العلم بحقائق الأشياء وكيفياتها فمَن ادعى علمه فهو كاذب، فحقيقة ما أخبر الله به عن نفسه وذاته سبحانه وبحمده من صفاته الخبرية وصفاته المعنوية وصفاته الفعلية لا يعلم حقيقتها إلا هو صحيح أننا نعلم المعنى العام المشترك المطلق الكلي لكن لا نعلم حقيقتها هذا هو معنى قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران:٧] كذلك ما أخبر الله تعالى به عما يكون في اليوم الآخر من الصراط والميزان وما في الجنة وما في النار نعرف معانيها العامة لكننا لا نعرف حقائقها وكيفياتها، فنحن نعلم في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾[محمد:١٥] نعرف معنى عسل ولبن وماء لكن الأسماء هنا هي الأسماء والحقائق تختلف، ولأجل ذا قال ابن عباس: ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء. هذا هو توجيه كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

قال رحمه الله: **وهذا كما قال تعالى : { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } . وقال النبي صلى الله عليه وسلم { يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر } . وكذلك علم وقت الساعة ونحو ذلك فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.**

مراده بذلك أن هذه الأشياء المذكورات لا تدرك حقائقها ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة:١٧] "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" مع أن ألفاظ التي التي عُبر بها عنها معلومة المعنى لدى السامعين يدرون معنى عسل، يدرون معنى لبن، يدرون معنى حور يعرفون أن هذه من الأمور التي يُتنعم بها إما مشارب أو مساكن أو مناكح أو مآكل يعرفون أن هذا من دواعي الرغبة واللذائذ الحسية والمعنوية لكن لا يلزم من العلم بالمعنى العلم بالحقيقة ودرك كيفيتها.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.